حول التفكير العسكري الفلسطيني

يزيد خلف

لقد مر عشرون سنة على انطلاق العمل المسلح الفلسطيني المعاصر، وقد شهدت حركة المقاومة الوطنية الفلسطينية خلال تلك الفترة مجموعة تقلبات في احوالها السياسية والعسكرية، ابتداء بمرحلة المطاردة الامنية في الايام الاولى، مروراً «بشهر العسل» بعد حرب العام ١٩٦٧، وبحقبتي الاردن ولبنان انتهاء بمرحلة ما بعد بيروت العام ١٩٨٢. وقد اكتسبت الحركة الفلسطينية خلال هذه السنوات تجربة واسعة ومتشعبة يفترض انها غنية بالعبر والدروس. فلماذا الاصرار، اذاً، على عدم تعلم الدروس وعلى تكرار انماط قتالية كالعمليات البحرية التي تبوء بالفشل أو اقتناء الاسلحة الثقيلة التي تعرقل عمل القوات التي تتزود بها؟ ولماذا ما زال النشاط العسكري في الارض المحتلة يتسم بالتبعثر وتدني المستوى والموسمية بعد ١٨ سنة من الاحتلال؟ إن المضي بتكتيكات غير فاعلة يثير الشعور بأنها تفتقر الى أهداف واضحة، ويشير الى غياب استراتيجية سياسية ـ عسكرية شاملة، وهي الاستراتيجية التي من شأنها، وحدها، لانها تجسد الاهداف العليا لحركة المقاومة، أن تجعل التكتيكات والاشكال القتالية المتبعة اكثر عقلانية عبر تحديد الهدف المباشر وتقديم المعايير لقياس الاداء والانجاز وتوفير الارضية لتطوير أو تعديل أو حتى الغاء انماط معينة عند الضرورة.

لكن يستحيل أن تمتلك حركة المقاومة استراتيجية شاملة ما دام هناك ارتباك أساسي وعدم اتفاق حول الاهداف العليا. ولا يعني ذلك أن القيادة الفلسطينية لم تضع لنفسها، ابداً، بعض الاهداف الواضحة، بل ان تلك الاهداف كانت مجرد تكتيكية، مرحلية، كالاشتراك بمسعى دبلوماسي معين أو اللعب على الموازين الاقليمية، بينما ازداد الهدف الاعلى، ألا وهو تحرير كامل التراب الفلسطيني وازالة الكيان الصهيوني واقامة الدولة الديمقراطية، غموضاً وبُعداً. وتبقى العبرة الجوهرية هي أن ما منع صياغة الاستراتيجية وتحديد الاهداف هو نوعية المنهج والذهنية اللذين حكما رؤية الواقع وطريقة معالجة المشكلات، والا لكان بالامكان خدمة الاهداف المرحلية، على الاقل، بواسطة تكتيكات ناجحة أو اداء يتحسن (كأضعف الايمان) مع مرور الزمن. ويعني ما سبق أن تقييم الممارسة

شؤون فلسطينية، العدد ١٥٠ ـ ١٥١، ايلول/تشرين الاول (سبتمبر/اكتوبر) ١٩٨٥